# سياسة مبدأ فرق تسد الفرنسية" في تحطيم المجتمع الجزائري حاضن المقاومة الوطنية 1832- 1847م

أ. سلاماني عبد القادر

جامعة طاهري محمد بشار

البريد الالكتروني: Slakader@hotmail.fr

- الملخص باللغة العربية:

حاولت السلطات الاستعمارية الفرنسية استغلال جميع الطرق السياسية والدبلوماسية والعسكرية لتفرقة كيان المجتمع الجزائري وتحطيم نظمه الاجتماعية التي لاتكلف الخزينة الفرنسية والسعي لتحقيق عملية التوسع الاستعماري الفرنسي التي يمكنها من تجنيد جزائريين ضد إخوانهم خدمة للمصلحة الفرنسية واستخدامهم والاستفادة من خبراتهم نظرا لمعرفتهم للمنطقة وتضاريسها ومواردها، كمرشدين وجنود في صفوف الجيش الفرنسي تجسيدا للمشروع الاستيطاني الفرنسي الذي عملت الدولة الفرنسية على إنجاحه بجميع الطرق من أجل البقاء بالجزائر.

– الملخص باللغة الفرنسية:

Les autorités coloniales françaises ont exploité toutes les méthodes politiques, diplomatiques et militaires pour disperser l'entité de la société algérienne et détruire ses systèmes sociaux qui ne coûtent rien pour le trésor français, et poursuivre le processus d'expansionde la colonisation française qui permet de recruter des Algériens contre leurs compatriotes au service de des Français , les utiliser pour profiter de leur expertise en raison de leur connaissance de la région , du terrain et des ressources, comme des guides et soldats dans les rangs de l'armée française. Et ceci pour réaliser le projet de colonisation, que l'Etat français a utilisé tous les moyens pour le réaliser afin de rester en Algérie.

- مقدمة :

تعتبر دراسة المجتمع الجزائري من قبل ضباط فرنسيين والعمل على معرفة أراضيه الزراعية وتنظيماته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ومصادر تموين المقاومة، ذات أهمية قصوى للاستعمار الفرنسي وذلك من أجل تحقيق النفوذ الفرنسي وتوسعاته، والعمل على تفكيك المجتمع وتشتيت قواته والقضاء على وحدته التي كان يسعى الأمير عبد القادر إلى تحقيقها.

لكن المساعي الفرنسية والدراسات الأنتروبولوجية عن طريق عدة ضباط فرنسيين يتقنون اللغة العربية، لهم اطلاع على عادات العرب وتشكيلاتهم الاجتماعية، والذين استطاعوا من كسب عدة رؤساء للقبائل إلى صفهم،إلى جانب مساندتهم من تشكيلات اجتماعية وعسكرية كفرق الزواف والصبايحية، استطاعت خدمة لمصالح قوات الاحتلال الفرنسي.

استفادت السلطات الفرنسية من النظام العثماني بالجزائر في اعتمادها على طرق وأساليب في إخضاع الشعب الجزائري بتسليح قبائل ضد أخرى، للتفرقة بين الشعب والعمل على تفكيك وحدة المجتمع، وذلك كما فعل العثمانيون مع قبائل المخزن قدموا لهم امتيازات مقابل تسليطهم على قبائل أخرى كانت ضد التواجد العثماني بالجزائر**1**.

يقول ريشار"**Richard**" :" إذا توصلنا من تقسيم السكان إلى معسكرين متحاربين ومتعادين إذن نستطيع وضع حدا فاصلا بين مجموعتين من السكان هي متحدة ومتضامنة لمحاربتنا "**2**.

عملت السلطات الفرنسية على استخدام بعض المناوئين الجزائريين لخدمة مصلحة فرنسا والقضاء على المقاومة الوطنية، حتى لايتسنى لها تجميع قواها ضد قوات الاحتلال الفرنسي، حيث لم تكن لهؤلاء المنشقين قيادات واسعة بل كانوا

تحت مراقبة القوات الفرنسية3، لذا اعتمد الجنرال بيجوسنة 1841م، في حربه ضد المقاومة الجزائرية عملية التفرقة بين الجزائريين حتى لايتمكنوا من إعطاء نفسا ودفعا جديدا ودعما ماديا ومعنويا للقوات الوطنية الشعبية لمواصلة مشروع الدفاع عن الوطن.

وأدرك الجنرال أن تجنيد الأمير عبد القادر للشعب الجزائري عن طريق المساعدات التي يقدمها من خلال توفير المؤن، والذخيرة الحربية واحتضانه للمقاومة الوطنية في مواجهة قوات الاحتلال الفرنسي ذات التجهيز المحكم والمنظم،لذا عمل الجنرال على تشجيع عملية التفرقة بين القبائل الجزائرية بكسب قيادات ضد أخرى لتحطيم المقاومة الشعبية الوطنية وتمويه الشعب الجزائري4، كما اعتمدعلى مراقبة الوضع الجزائري بجمع المعلومات للتعرف على تحركات القبائل ومصادر تموينهم ومراقبة القبائل التي تساند المقاومة الشعبية الوطنية.

يقول الجنرال بيجو" إن استعانتنا بهؤلاء الرؤساء أوالعائلات الكبيرة يعد وسيلة مهمة لتعيين مواقع المقاومة وبذلك نتمكن من حصارهم والقبض عليهم بسهولة، هذه العملية تدخل في إطار الأمن والتبادل التجاري، كما أعطيت لهؤلاء الأعوان مهمة مراقبة الأشخاص الذين يمرون عبر المناطق ومراقبة الذين يحرضون الشعب بنشر أفكار معارضة ضد وجودنا في البلاد 5."

وقد سعى بهذه الأساليب سنة1841م من أجل توطيد الاحتلال الفرنسي بالجزائر وعمل على إحباط معنويات الشعب الجزائري في احتضان المقاومة الشعبية وتموينها، بعدما فرض عليهم عقوبات صارمة من خلال الحملات الفرنسية المتتالية والمتتابعة،وهذا ما أدى لانشغال الأمير عبد القادر في 1843م بإخضاع القبائل الجزائرية لمساندة المقاومة الشعبية الوطنية، حيث عملت السلطات الفرنسية لاستمالة عدة قبائل بالوعود والرشاوي والتهديدات وإجراءات قاسية

ضد القبائل الجزائرية المساندة لقوات المقاومة الشعبية الوطنية، وذلك من أجل السيطرة عليها وجعلها حليفة للقوات الفرنسية لتستعملها كقوات احتياطية6، من أجل القضاء على عملية التطوع في قوات المقاومة الشعبية الوطنية والسعي لكي لا يتم تموين القوات الشعبية الوطنية التي كان الأمير عبد القادر يستلهم منها قواته للمشاركة في الدفاع عن الوطن، والعمل على طرد قوات الاحتلال الفرنسي التي كانت أكثر إصرار وتنظيما من اجل التوسع وإنجاح عملية الاحتلال.

استفادت قوات الاحتلال الفرنسي بالجزائر من دراسة وضعية المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، حيث استعمل العثمانيون بالجزائر أمام تزايد عدد الجزائريين في ثرواتهم التفرقة بين القبائل الجزائرية ليجعلونهم يدمرون أنفسهم بأنفسهم7.

**1- تحريض القبائل الموالية للمخزن العثماني ضد قوات المقاومة الشعبية الوطنية.**

رفضت بعض القبائل الجزائرية بإقليم وهران الخضوع للصف الوطني، وفضلت التعاون مع قوات الاحتلال الفرنسي، لذا قام الأمير عبد القادر بإصدار إجراءات صارمة تمنع الشعب الجزائري بإقليم وهران التعامل مع قوات الاحتلال الفرنسي والمتاجرة معه8، تكررت عروض زعماء قبائل الدوابر والزمالة لإعلان خضوعهم للقوات الفرنسية، فقاموا ببعث وفد للجنرال الفرنسي تريزل يطلبون منه الخضوع وتم إمضاء الاتفاقية بعين البيضاء بوهران بتاريخ 16 جوان 1835م9.

أجبر الجنرال تريزل قبائل الدوابر والزمالة الخضوع للقوات الفرنسية وقام بترحليهم إلى مسرغين في 14 جوان 1835م،اتفاقية التينة بين الجنرال تريزل وقادة قبائل الدوابر والزمالة تعتبر نقضا للمعاهدة التي أبرمها الأمير عبد القادر

مع الجنرال ديميشال، وذلك حتى لايتسنى للأمير عبد القادر تنظيم صفوفه وتهيئة الوضع لإفشال المشروع الاستعماري، لذا قامت السلطات الفرنسية بخرق إحدى بنود الاتفاقية لاستئناف الحرب والاستفادة من فرسان الدوايرو والزمالة نظرا لمعرفتهم الجيدة لمنطقة الغرب الجزائري ومصادر تموينها، لذا استغلتهم في مصلحتها للقضاء على المقاومة الشعبية الوطنية والعمل على التفرقة بين أبناء الشعب الجزائري، حتى لا يتم تجنيدهم ضد المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر.

لقد اعترف الجنرال لاموسيير بأعمال فرسان الدوايرو والزمالة في خدمة توطيد الاحتلال الفرنسي بالجزائر يوم 4 أكتوبر1845م، وبعث تقريرا لوزير الحرب يشيد فيه دور المخزن لتوطيد الاستعمار الفرنسي بالجزائر10.

2- الأساليب التي استخدمتها فرنسا مع بعض الزوايا لمواجهة الوحدة الجزائرية في عين ماضي11"نموذجا".

لماذا قام الأمير عبد القادر بمحاربة الطريقة التيجانية وشيخها ولم يحارب الطريقة الشيخية ؟ ولماذا رفضت الطريقة التيجانية مساندة قوات المقاومة الشعبية الوطنية ضد قوات الاحتلال الفرنسي ؟

حارب الأمير عبد القادر التيجانية ولم يحارب الشيخية رغم أنه اتصل بهم في نفس الفترة 1836م، ولم يحارب الطريقتين في فترة واحدة لأن حربه لم تكن ضد هؤلاء المنشقين فحسب، بل كانت ضد الاحتلال الفرنسي وتوسعاته، ولم يرد فتح عدة جبهات قتالية تنهك قواه وتضر بقواته، ولنقص الوعي السياسي والبعد الوطني لدى بعض رؤساء الطرق الصوفية بالجزائر التي ارتدت عن الجهاد، رغم أن المصير كان واحدا والدين الإسلامي يحث على الجهاد ضد الكافر المغتصب لأراضي المسلمين ؟ ولكن الشيخ التيجاني بعد الاحتلال الفرنسي

للأراضي الجزائرية لم يساند الأمير عبد القادر ووقف ضد الوحدة الوطنية في مجابهة الكافر المسيحي المغتصب لأراضيه وحرمات النساء، والمساجد وإلى جانب عمليات الإبادة والأرض المحروقة الممارسة ضد الشعب الجزائري، إلا أنه فضل الأمان للفرنسيين والخضوع لهم والاستكانة للعدو.

**3- نص الفتوى لتحريم الجهاد ضد قوات الاحتلال الفرنسي 1842.**

طلب الجنرال بيجومن ليون روش الحصول على فتوى تجعل المسلمين يتراجعون وينسحبون عن المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، لقد سمى ليون نفسه باسم عمر عبد الله وأرفق معه عددا من الأتباع على رأسهم محمد التيجاني والمازاري آغا الدواير وميلود بنسالم الأغواطي، توجه الركب نحوالقيروان ثم الأزهر وتوجهوا بعدها نحوالحرم المكي، حصل على نص الفتوى من علماء القيروان والأزهر ثم صادق عليها علماء الحرم المكي مفادها يجوز للمسلم وقف الجهاد، لقد أيدها وصادق عليها علماء القيروان والقاهرة، ودمشق وبغداد" كما صادق على نص الفتوى الأمير الشريف عون وجعل الجنرال بيجونص هذه الفتوى منشورا يقرأ في الأسواق**12**.

تعتبر هذه الفتوى حربا نفسية استعملتها السياسة الفرنسية للقضاء على المقاومة الشعبية الوطنية، وعملت من أجل التفرقة بين أفراد الشعب الجزائري، واستعملت الدين كوسيلة للقضاء على وحدة الشعب الجزائري في احتضانه للمقاومة الوطنية، والعمل على تشتيت شملهم، ورغم هذه النصوص والفتاوي والحروب النفسية المعنوية والتدميرية التي استعملتها السلطات الفرنسية بالجزائر، إلا أن الشعب الجزائري بقيادة الأمير عبد القادر ظل صامدا أمام الهجمات المتكررة والمتواصلة والمتزايدة عدة وعددا بأساليب وحشية وترهيبية.

**4- تأسيس فرق عسكرية من المرتزقة الخونة الجزائريين ضد قوات المقاومة الشعبية الوطنية:**

**أ- فرقة الزواف:**

كانت السياسة الفرنسية تستهدف جزأرة الحرب بالجزائر وذلك بكسب مؤيدين لها بالبلاد يعملون لخدمتها ومصالحها الاستعمارية، لذا عملت على مبدأ التفرقة بين الشعب الجزائري حتى تقضي على المقاومة الشعبية وتستفيد من هؤلاء المنشقين نظرا لمعرفتهم بتضاريس المنطقة التي يعملون بها، ويتم تجنيد هذه القوات الجزائرية إلى الصف الفرنسي لخدمة مصالح الاحتلال الفرنسي، وذلك من أجل المحافظة على ميزانية الدولة الفرنسية وتخفيض نفقاتها الحربية، لذا قام الجنرال كلوزال بإنشاء قوات عسكرية تعمل على حرق المحاصيل والمنازل وتقوم بقطع الأشجار، تدعى كتيبة الزواف من السكان الجزائريين بمنطقة القبائل**13**، وفق قانون **10** أكتوبر**1830** يتكون أغلبهم من الزواوة الذين يعيشون شرق الجزائر بجبال جرجرة**14**.

أعطت قوات الزواف والقناصة دفعا قويا في الحملات العسكرية الفرنسية إلى جانب قوات الاحتلال الفرنسي بالجزائر، والعمل على التفرقة بين أبناء الشعب الجزائري لتوطيد الاستعمار الفرنسي والعمل على تحطيم وإفشال كل سبل المقاومة الجزائرية، باستعمال كل الطرق التي يمكنها القضاء عليها وتجنيد جزائريين ضد إخوانهم خدمة للمصلحة الفرنسية، ونظرا لمعرفتهم للمنطقة وتضاريسها ومواردها يمكن الاستفادة منهم كمرشدين وجنود في صفوف الجيش الفرنسي، تجسيدا للمشروع الاستيطاني الفرنسي الذي عملت الدولة الفرنسية على إنجاحه بجميع الطرق وكل الوسائل اللاانسانية من أجل البقاء بالجزائر، وانتهاكا لحقوق الشعب الجزائري وتحطيما لوحدته وتعاليمه وإفشالا لمشروع

الدولة الجزائرية الحديثة وتوحيد الشعب الجزائري الذي سعى الأمير عبد القادر لتحقيقه.

ب- فرقة الصبايحية :

تشكلت فرقة الصبايحية في العهد العثماني من بعض أبناء الشعب الجزائري ينتمون للعائلات الكبيرة يجندون لخدمة آغا العرب، يوفر الصبايحي حصانه وبندقيته من حسابه ويدفع حوالي **100** بوجولكي يقبل الآغا خدمته، يدمج في فرسان المخزن وبعض من الرسوم وأعمال السخرة، أهم القبائل التي كانت تجند الصبايحية بدار السلطان مقاطعة الجزائر بني سليمان وقبيلة أولاد ديار، وقبيلة أولاد عثمان، قبيلة أولاد بوعيش التي جندت سنة**1825**م، **400** صبايحي هذه القبائل من إقليم التطيري، أما قبائل بايلك الشرق قبيلة أولاد عبد النور ألف صبايحي والتلاغمة **100** صبايحي، أما بايلك الغرب قبيلة ذوي حسن وصبايحية الشلف"**15**.

وقد صدر أمر ملكي في**07** ديسمبر**1841**م يقضي بتحويل هذه الفرقة إلى فرقة منتظمة تخضع للجيش الفرنسي، وتعمل في صفوفه فتم ترسيم الفيلق الأول بمقاطعة الجزائر والفيلق الثاني بوهران والفيلق الثالث بقسنطينة**16**، وقامت السلطات الفرنسية بتجنيد فرقة من الفرسان من جنسيات مختلفة فرنسية وجزائرية وتونسية ومغربية تحت قيادة ضباط فرنسيين وقادة جزائريين، وتمت التجارب الأولى لإنشاء هذه القوات في ديسمبر **1842**م في عنابة، وبعد خمسة أشهر ظهرت فرقة صغيرة منهم سميت "صبايحية الفحص " بقيادة فوارول،"**Voiral**"، وكانت مهمتها مراقبة الأرياف، ولقد ساهمت هذه القوات في معارك الفرنسيين ضد قوات قوات المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر، حيث جعلهم الجنرال بيجويتمركزون في منطقة مسرغين**17**، ويشرح دوطوكفيل فوائد الصبايحية

في مساندة الجيش الفرنسي في حملاته العسكرية ضد القوات الوطنية،18إن تشكيل فرق من الصبايحية غير النظامين، وفر لنا هؤلاء عددا كبيرا لخدمة فرنسا في مقاطعة قسنطينة 1500 فارس.19

- الخاتمة:

استطاع الأمير عبد القادر مواجهة دولة فرنسية بجيش مدرب على الفنون الحربية وعتاد حربي أقوى وأحسن وذخيرة ومؤونة مضمونة، في حين كان لا يملك جيشا نظاميا، فأغلب قواته من المتطوعين، إلى جانب نسق اجتماعي مشتت وثقافة تقليدية بسيطة، إلا انه فرض وجوده واستطاع مقاومة الجنرالات الفرنسيين مدة 15 سنة فوق حصان يجوب الأرض الجزائرية من شرقها إلى غربها آملا من ذلك توحيد الشعب الجزائري وتجنيد شبابه ضد قوات الاحتلال الفرنسي الذي أراد طمس الهوية الجزائرية وقتل روح المقاومة الوطنية التي أحياها الشيخ محي الدين وواصلها الأمير عبد القادر في إطار المقاومة الوطنية وإقامة الدولة الجزائرية الحديثة وفق مبدأ الاعتماد على النفس في مواجهة الاحتلال بجميع طرقه وأساليبه.

وكانت أهداف الأمير عبد القادر في إنشاء دولة جزائرية حديثة تعمل على طرد قوات الاحتلال الفرنسي، وتؤمن بالحرية وترفض همجية الاستعمار الفرنسي وتندد بالممارسات المتبعة لتعذيب الشعب الجزائري والتفنن في قهره والعمل على تفرقته وزرع الهوة بين أبناءه وتفكيك وحدتهم والقضاء على كيانه وهويته الوطنية والثقافية، لقد بقي الأمير عبد القادر شوكة في حلق فرنسا، فالاستعمار بالنسبة له ليس مسألة تنحصر في الجزائر فحسب بل هي العلاقة بين الشرق والغرب حيث أدرك التفاوت الحضاري بين العالمين.

## - الهوامش:

-[1]W.Estirasy, *Notice historique sur le maghzen d'Oran, typographie de Berrier*, Paris, 1849, p. 233 -234.

.-[2]Ch. Richard, *Étude sur l'instriction du Dahra 1845-1846*, Alger, 1846, p.185 -186

.-[3]Ch.-A.Julien,*Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, éd. PUF, Paris, p. 231 – 232

-[4]*Ibid., id.*, p. 225 – 227.

.-[5]R. Germain, *La politique indigène de Bugeaud, éd. Larousse*, Paris, 1955, t. 2, p. 287

[6]- تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، تر أبوالقاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004، ص. 211.

*E. Cavignac, La régence d'Alger note sur l'occupation, éd. Magen, Paris,1839, p.56.-7*

[8]- تشرشل شارل هنري، المصدر السابق، ص. 99.

*-9-A. Belmare, Abdelkader sa vie politique et militaire, éd. Bouchene, Paris, 2003, p. 60-61.*

[10] *Ibid., id., p. 223 -225.*

11- عين ماضي: قصر في جبل عمور 87 كم غرب الأغواط و48 كم جنوب آفلو، أسسها مرابط مغربي سيدي محمد في القرن 17م أسس فيها احمد بن محمد المختار التيجاني الزاوية التيجانية حاصرها الأمير في 1838، دخلها الفرنسيون أول مرة في 22 ماي 1844ينظر:

*E. Daumas, Correspandances du capitaine Daumas consul à Mascara ,1837-1839, Collection de documents inédits par le Gouvernement Général d'Algérie, éd. Jourdan, Paris, 1921, p. 15.*

*L. Roche, Dix ans à traver l' Islam 1834-1844 , éd. Didot, Paris, 1884, t. 1, p. 241. -12*

*J. Ladmir, Les guerres d'Afrique, éd. Renault, Paris.1858, p. 52. -13*

*S. Josef, Histoire du deuxième régiment de zouavres, éd. Lacheseet,Paris,1898, p.5.-14*

15- عباد صالح، الجزائر خلال الحكم العثماني 1514- 1830، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص. 318.

.-[16]V. De Paradis, *Alger au 18ème siècle, éd.* Fagnan, Alger, 1898, p. - 75 -76

.-[17]Ch.-A. Julien,*Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871),op.cit.*, p. 274

-18الكسي دوطوكفيل، نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان، تر ابراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص. 182.

19- الأشرف مصطفى، الجزائر الدولة والأمة، تر حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص. 323.